الفصل الثاني

نشأة راسبوتين

سبق أن ذكرنا أن **جريجورى إفيمى راسبوتين** كان قد وُلد فى قرية بوكروفسكى فى إقليم توبولسك التى تقع عاصمته على نهر توبول عند التقائه بنهر إرتسك فى الجزء الشمالى من وسط روسيا وذلك فى يوم ١٠ يناير عام ١٨٦٩م على الأرجح .

وكانت حياة راسبوتين ، كما كان مصرع راسبوتين أسطورة من أساطير العصر الحديث ، وإن دلت أسطورة راسبوتين على شىء فهى تدل على غرابة شأن إنسان مثل : راسبوتين وغرابة أطوار حياته وغرابة الظروف المحيطة بأسباب شهرته وصعود نجمه فى المجتمع الروسى وغرابة الظروف المتصلة بمصرعه فى عام ١٩١٦م ، وكأنما كان مصرع راسبوتين هو المسمار الأخير فى نعش النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى روسيا ، وسقوط حكم قياصرة روسيا من أسرة رومانوف التى ظلت تحكم روسيا أكثر من ثلثمائة سنة حتى أطاحت بها الثورة الشيوعية فى عام ١٩١٧م ليظل الشعب الروسى يرسف فى أغلال الشيوعية المفرطة فى قهر الناس ، والمزايدة على شرائع الله فيما يتعلق بملكية الناس لمصادر الإنتاج ومصادر كسب المال بأكثر مما كان يرسف الشعب الروسى ، فى براثن الرأسمالية الظالمة التى كانت تكدس مصادر الثروات الزراعية والصناعية والتجارية فى يد نسبة ضئيلة لا تزيد على واحد بالمئة من أبناء الشعب الروسى بينما الغالبية الساحقة من الشعب الروسى يعتصرهم الفقر والمرض والبؤس والشقاء فى غياب أسباب البر والتقوى والرحمة والتعاطف بين أبناء المجتمع ، والتواصل العادل بين الأغنياء والفقراء كما أوصى الله الناس بذلك فى شرائع الدين الحق ، وكما شاءت به إرادة الله وأنزله إلى الناس على يد أنبياء الله ورسله الصادقين دون تحريف أو تضليل ، ليكون فى الأموال حق

معلوم للسائل والمحروم ، ولتكون الزكاة فريضة من فرائض الدين تزكى أموال الأغنياء وتقيم أود الفقراء حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء ، ويحرم منه الفقراء وبحيث لا يكون كل أبناء الشعب محرومين كل الحرمان من مصادر الإنتاج والثروات فى المجتمع عندما تنزع الشيوعية كل مصادر الإنتاج والثروات من أيدى أبناء الشعب لتمتلكها الحكومة أو يمتلكها الحزب الشيوعى ليستمتع قادة هذا الحزب الشيوعى بكل متاع الحياة ، ويظل الشعب الخاضع للحكم الشيوعى يرسف فى أغلال الحرمان والبؤس والشقاء ، لقد اجتمع على الشعب الروسى ظُلْم وظلمات النظام الرأسمالى بكل قسوة فى عهد القياصرة الروس ، وظُلْم وظلمات النظام الشيوعى بكل قسوة فى عهد البلاشفة الشيوعيين . ولقد عاش راسبوتين فى أوج فساد النظام الرأسمالى القيصرى ولم يتم اغتياله إلا فى عام ١٩١٦ قبل عام واحد من انهيار حكم القياصرة لتقع روسيا فى براثن النظام الشيوعى بعد الثورة البلشفية التى سيطرت على روسيا بدءا من عام ١٩١٧م مما حدا بكل الناس أن يعتبروا حياة ومصرع راسبوتين علامة فارقة بين ظلم وظلمات النظام الرأسمالى وظلم وظلمات النظام الشيوعى .

ولقد ولد راسبوتين وقضى سنوات طفولته فى قرية صغيرة هى قرية بوكرفسكوى كما سبق أن أشرنا ، وكان معظم أبناء القرية يعملون بالزراعة فى الغالب الأعم ، وبطبيعة الحال كان معظم الفلاحين فى قرية بوكرفسكوى لا يملكون من الأرض الزراعية التى يفلحونها شيئًا اللهم إلا ما كان يتفضل به كبار الملاك على بعض الفلاحين من مساحات صغيرة يحصل الفلاح الروسى على غلاتها مقابل أتعابه فى زراعة مساحات كبيرة لحساب كبار ملاك الأرض، أو كان الفلاح الروسى يقنع بجزء ضئيل من المحصولات الزراعية مقابل أتعابه فى زراعة مساحات كبيرة لحساب كبار الملاك وكانت حياة الغالبية العظمى من الفلاحين فى غاية البؤس والشقاء فى ظل نظام رأسمالى قيصرى ظالم للسواد الأعظم من الفلاحين ، وهم غالبية الشعب الروسى آنذاك . وكان قليل من

الناس فى الريف الروسى آنذاك يعملون فى مجالات ضيقة الآفاق غير أعمال فلاحة الأرض مثل الخدمة فى قصور كبار الملاك أو فى مجال سكة الحديد أو البريد أو فى حراسة أحد كبار الملاك أو قيادة عربة أحد كبار الملاك ، ولم تكن حالة أولئك الذين يفلتون من شقاء العمل الزراعى فى فلاحة أرض كبار الملاك بأفضل من حالة الفلاحين فى البؤس والشقاء لطغيان كبار الملاك وعظيم سلطاتهم ونفوذهم وهم يملكون العقارات ويملكون الجند والسلاح ويملكون القلاع والحصون ويملكون كل مقدرات وأسباب القوة والنفوذ لقدرتهم على الاتصال بالسلطات الحاكمة التشريعية والقضائية والتنفيذية .

كان والد الطفل جريجورى إفيمى راسبوتين سائق عربة من عربات البريد ، ومن الثابت أنه قد فصل من عمله ذاك لسوء سلوكه ورداءة طباعه وإدمانه شرب الخمر إلى حد السكر الشديد وفقدان الوعى فى كثير من الأحيان ، وعندما تم فصل أبيه من عمله كسائق لعربة من عربات البريد احترف سرقة المواشى من الفلاحين ردحا من الوقت ، وعندما ضاقت به آفاق هذه السرقات لمواشى الفلاحين لافتضاح أمره أكثر من مرة تحول إلى احتراف الزراعة خاضعا بطبيعة الحال لظروف عمل فقراء الفلاحين الروس فى أملاك كبار الملاك الروس للأرض الزراعية فى روسيا آنذاك .

وكان للطفل جريجورى أخ أكبر منه مات غريقا وهو يستحم فى نهر صغير كان يمر فى أراضى القرية . ولكن الطفل جريجورى إفيمى راسبوتين كان يتمتع بقدرات روحية خارقة للعادة منذ طفولته ، أو هذا هو الاعتقاد الذى شاع عنه فى طفولته ، ربما نتيجة لبعض المصادفات أو المفارقات التى ربما كان للحظ والصدفة دخل فيها إلى حد كبير .

ومن هذه المصادفات على سبيل المثال أن الطفل الصغير جريجورى إفيمى راسبوتين كان يرقد فى فراشه مريضا مصابا بالحمى عندما تكاثر الزوار فى مسكن أبيه إذ كان حصان أحد الفلاحين قد سرِقَ منه . وكان الرجال

يتناقشون فيمن عساه أن يكون قد سَرَقَ الحصانَ وكيف يمكن لصاحب الحصان أن يسترجعه . وربما كانت تجارب وخبرات أبيه فى سرقة المواشى والجياد من الفلاحين هى السبب فى احتشاد كثير من الفلاحين فى منزل والده لسابق خبراته ، ومعرفته بطرق وأساليب لصوص المواشى وصلاته الوثيقة معهم إذ كان واحدا منهم ، وعندما احتدم الجدل والنقاش بين الفلاحين فى منزل والده بشأن الحصان وربما كانت أصابع الاتهام تتجه نحو والده ، نهض الطفل جريجورى إفيمى راسبوتين من فراش مرضه ، واندفع بينهم وهو يصيح بأن شخصا آخر غير أبيه هو الذى كان قد سرق ذلك الحصان . وعمد أبوه نفسه إلى تكذيب ابنه جريجورى فيما يزعمه لأسباب ما . ولكن الرجال الموجودين اعتقدوا لأسباب أخرى أن الطفل صادق فيما يقول . ربما كان ذلك من جانبهم مجرد حدس وتخمين باعتبار أن الأطفال لا يكذبون ، أو ربما اعتقدوا أن الطفل الصغير ربما كان قد سمع بعض الكلام من والده يدل على السارق الذى كان قد سرق الحصان بالفعل ، ولم يكن أبوه يريد أن يفصح لهم عن الحقيقة لأسباب ما ، ولكن الطفل الصغير اندفع بينهم يخبرهم عن حقيقة شخصية اللص الذى سرق الحصان بالفعل عندما سمعهم يوجهون الاتهام لأبيه.. ولكن المدهش أنهم ذهبوا إلى بيت الرجل الذى ذكر لهم الطفل جريجورى راسبوتين أنه سارق الحصان ، ووجدوا الحصان موجودا فى حظيرته ، واسترد صاحب الحصان حصانه ، وبدأت شهرة الطفل جريجورى إفيمى راسبوتين باعتبار **أنه طفل مبارك مكشوف عنه الحجاب** .

وعندما شفى راسبوتين من مرضه ، كانت هذه الشهرة تحيط به حتى شب عن الطوق ، وشرع يمارس العمل لكسب العيش بنفسه ، فعمل سائقاً لإحدى عربات نقل المحاصيل الزراعية من الحقول إلى المخازن ، ومن المخازن إلى الأسواق، واختلط راسبوتين فى مطلع شبابه بفتيات الريف اللاتى كن يركبن بجواره على العربة أو يعملن معه فى تحميل أو تفريغ حمولات العربة كل يوم. وتجاوبت بعض الفتيات مع فحولته الجنسية التى اشتهر بها منذ مطلع شبابه .

ومن الثابت أن الشاب جريجورى إفيمى راسبوتين قد حوكم فى مطلع شبابه لارتكابه جريمة من جرائم السرقة ، وبدلا من عقوبة السجن ، عوقب بخدمة إحدى الكنائس الخلستية Khlysty فى إحدى القرى الروسية . ومن هنا بدأت صلة جريجورى إفيمى راسبوتين بالدين المسيحى الأورثوذكسى الذى كان سائدا فى روسيا آنذاك ، وهو الشأن الذى يلزم أن نعرض له بشىء من التفصيل .

سبق أن ذكرنا أن المسيحية قد انتقلت من آسيا الصغرى إلى جنوب روسيا عندما تزوج أحد قياصرة روسيا من امرأة مسيحية ، وفرض اعتناق الديانة المسيحية على أبناء الشعب الروسى الخاضعين لحكمه بحيث يقتل كل من يمتنع أو يبدى اعتراضا على اعتناق الديانة المسيحية . وكان الأغنياء والنبلاء من الروس يرحلون إلى دول أوربا المسيحية للسياحة والحصول على مختلف أنواع المتع وكانوا يجدون أن المسيحية هى الديانة الرسمية فى كل الدول الأوربية منذ أدخلت الجيوش الرومانية المسيحية إلى مختلف الدول الأوربية ، وجزء ضخم من روسيا يقع فى قارة أوربا ولا تسمح الكنيسة المسيحية فى أن تدع جزءا من أوربا لا تكون الديانة الرسمية فيه هى الديانة المسيحية .

ولا يهم أبدا وخصوصا بعد الثورة الكوبرنيقية أن يفهم الشخص المسيحى العقائد المسيحية ، بل المهم فقط هو أن يعلن عن ديانته ، وهى الديانة المسيحية **ويقبل الحرص على «تعميد» أبنائه فى الكنيسة وتناول القربان المقدس بأن يأكل قطعة من الخبز باعتبار أنها هى جسد المسيح ويشرب كمية من الخمر باعتبار أنها هى دم المسيح مؤمنا بأن المسيح قد مات على الصليب ليفدى البشرية بدمه ثم قام من بين الأموات وصعد إلى السماء وسيعود بسرعة لكى يقود المسيحيين بنفسه ويقاتل معهم ليبيد كل الشعوب غير المسيحية فى القدوم الثانى للمسيح ليبدأ العصر الألفى السعيد** Happy Millinium **إذ يعيش المسيحيون بعدئذ ألف سنة مع المسيح ثم يدخلون الجنة .**

وعقيدة التثليث المسيحى Christian Trinity تصطدم بلا جدال والعقل

البشرى لأن المسيحيين يستخدمون فى صياغتها مفردات ليس لأى منها معنى من المعانى المتعارف عليها بين الناس فى أى لغة من اللغات ، عندما يقولون : «الآب والابن والرح القدس إله واحد » أو يقولون باللغة الإنجليزية : The Father , The Son and The Holy Spirit .

ما معنى كلمة الأب أو الآب ؟ هل هو الذى يكون السبب فى أن تنجب له زوجته ابنا؟ يقولون : لا . ماذا عساه أن يكون معنى كلمة الأب Father إن لم يكن هذا المعنى الذى تعارف عليه الناس فى كل اللغات للأب ؟ لا مُجيب ! إنهم يكتفون بنفى المعنى المتعارف عليه بين الناس ولا يقدمون عنه بديلا ! إنهم أحرار فى ذلك بطبيعة الحال فيما يتعلق بشأن إلغائهم للمعنى المتعارف عليه للأبوة والبنوة ، وعدم تقديمهم معنى آخر لكلمة الأب أو كلمة الابن ، وهما الأقنوم الأول والثانى من أقانيم صيغة التثليث المسيحية . وكلمة الأقنوم Person نفسها غامضة فيما يتعلق بهذا التثليث ، والمسيحيون يجعلون للابن كل سلطان ويعتبرون الابن أو المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – إلها مع أنه إنسان ولد وعاش على الأرض حوالى ثلاثة وثلاثين عاما دون أى اهتمام بوجود انفصام أو انقسام فى الذات الإلهية بحيث كان الأب فى السماء والابن على الأرض إبان حياة المسيح على الأرض بين الناس . ولايهم أيضا استحالة اعتبار ثلاثة أشخاص Three persons شخصا واحدا One person ، ولكن الغموض كل الغموض هو ذلك الذى يتعلق بالأقنوم الثالث وهو الروح القدس The Holy Spirit وهو ما يهمنا بشأن حياة ومصرع راسبوتين فى تذبذبها بين اعتباره قديسا مملوءا بالروح القدس واعتباره فاسقا فاسدا ماجنا زير نساء عربيدا فاجرا اقترف كل أنواع الفساد وكل الموبقات والخطايا .

**** ما الروح القدس ؟**

عندما نفتح القاموس باللغة العربية نجد أنه يطلعنا تحت مادة «راح» وتحديداً لمعنى الروح – بضم الراء وتشديدها – يقول القاموس : الروح ما به حياة

الأجسام ، والروح النفس والجمع أرواح ، والروح الأمين وروح القدس (فى الإسلام) جبريل عليه السلام ، والروح القدس عند النصارى الأقنوم الثالث .

وعندما تطلعنا قواميس اللغة العربية أن الروح هى ما به حياة الأجسام ، أو أن الروح هى النفس نجد أن هذا الكلام كلام مفهوم لاعناء فى فهمه ولا مشقة ، ونحن ندرك بوضوح أن الإنسان والحيوان والطيور والأسماك والنباتات تظل حية مادام فيها روح ، وتموت لو خلت من الروح لندرك أن الروح حقا هى ما به حياة الأجسام كما يخبرنا بذلك القاموس .

وعندما تخبرنا قواميس اللغة العربية أن الروح الأمين أو روح القدس هو جبريل عليه السلام يكون هذا الاستخدام لكلمة الروح هنا استخداما خاصا فى مجال دينى محدد خص ملكا من الملائكة بهذه التسمية ليتفرد بها من بين الملائكة باعتبار أن جبريل هو الروح الأمين أو روح القدس كما أن عزرائيل مثلا هو مَلَكُ الموت الذى يقبض الأرواح عند الموت .

واستخدام كلمة الروح فى القرآن الكريم استخدام بالغ الوضوح والدقة باعتبار أنها من أمر الله – سبحانه وتعالى – هو خالقها وهو المتصرف فيها وهو – سبحانه وتعالى – الذى يعرف حقائقها وكنهها ، وليس إدراك حقائقها وكنهها من شأن البشر بأى حال من الأحوال وهو ما نص عليه القرآن الكريم صراحة فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [**سورة الإسراء** : ٨٥]

ومن الواضح أن الإسلام لا يجعل من الروح جزءا من كنه الله – سبحانه وتعالى – إذ إن الله لا أقسام له ولا أجزاء ولا أقانيم لو كان للأقانيم أى معنى يمكن أن تدركه أذهان البشر .

بل إننا نجد الدقة البالغة الحاسمة فى أن كلمة الروح – بضم وتشديد الراء– تختلف عن كلمة الرَّوْح – بفتح وتشديد الراء – إذ الروح – بفتح وتشديد الراء – تستخدم باطراد فى القرآن الكريم عند تعلقها بالله – سبحانه وتعالى–

دون سواه من المخلوقات كما فى قول الله – سبحانه وتعالى – فى القرآن الكريم: ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [**يوسف** : ٨٧] . وهذا كله مفهوم ومعقول ومقبول .

أما الروح القدس باعتبار أنه الأقنوم الثالث من أقانيم التثليث المسيحى فهو غير مفهوم وغير معقول وغير مقبول بالنسبة لإنسان مثلى يتطلب الوضوح وتحديد معنى الألفاظ قبل استخدامها . وكل إنسان حر بطبيعة الحال فى أن يفهم أو يعجز عن الفهم ، يعقل أو لا يعقل ، يقبل أو لا يقبل ، ما لا سبيل إلى فهمه أو تعقله أو قبوله .

ونجد تعبير «الروح القدس» فى العهد الجديد من الكتاب المقدس لدى المسيحيين فى نصوص مثل : «فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٨) . وأيضا : «عالمين هذا أولا : أن كل نُبُّوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (رسالة بطرس الرسول الثانية ١ : ٢٠ – ٢١) .

من هم أناس الله القديسون المسوقون من الروح القدس ؟ كيف نعرفهم ؟ لقد فتحت مثل هذه النصوص الباب على مصراعيه لكى يدخل منه أناس كثيرون ، وهم يزعمون أنهم أناس الله المسوقون من الروح القدس لكى يزعموا لأنفسهم أو يزعم لهم أناس آخرون ، أن يتقبل كثير من الناس مزاعمهم باعتبار أنهم أناس الله القديسون المسوقون من الروح القدس دون أن يدرى أحد أو يستطيع أن يدرى ماهية روح القدس وما إذا كان قد ساق أحدا أو لم يسق ليقول أى مزاعم يزعم أنه مسوق إلى الجهر بها حيث إنه مسوق من الروح القدس .

من هذا المنطلق قال لى شيخ مسيحى : «إن الله ينطق على لسانى» وقلت :

«هل ينطق الله على لسانك أنت وحدك أم ينطق على لسان أناس غيرك أيضا؟» ولم يزد على أن قال : «إن الله ينطق على لسانى» فقلت له : «لعلك مسوق من الروح القدس» . فسكت ولم يقل أى شيء . وانصرفت عنه لحال سبيلى .

ومن هذا المنطلق تنطلق القداسة التى خلعها الروس على شخص مثل جريجورى إفيمى راسبوتين طوال سنوات وسنوات وهم يحسبونه قديسا مملوءا بروح القدس وبركة روح القدس على الرغم من كل خرافاته وضلاله وفسوقه ومجونه .

ولقد سبق أن ذكرنا أن الفتى جريجورى إفيمى راسبوتين فى مطلع شبابه كان قد حوكم فى موطنه الأصلى بسبب السرقة ، وبدلا من أن يعاقب بدخول السجن ، عوقب بالقيام بأعمال الخدمة فى إحدى الكنائس الخلستية khlysty .

وتحوى الكنائس بداخلها كثيرا من الأعاجيب والمفارقات المستترة داخل بيت الرب الذى لاينبغى أن يتطفل عليه أو يزعج العاملين به الموجودين بداخله أحد.

ومن الممكن أن يكون داخل الكنيسة فى عصر راسبوتين المنجم المشتغل بعلم الفلك ، أو الطبيب المشتغل بعلوم الطب ، أو المهتم بعلوم الهندسة أو اللغات القديمة أو الجغرافيا أو التاريخ أو السحر ، ومن الممكن أيضا أن يكون داخل الكنيسة محترفو الدجل والشعوذة وأساتذة فنون الدجل والاحتيال على بسطاء الناس ، لإيهامهم بحلول روح القدس والبركات فى شخص هو فى حقيقة أمره شرير فاسق فاجر ، ولكنه يتقن التظاهر بالتقوى والصلاح إذ أنه مملوء بالروح القدس وبالبركة . ولقد حدث بالفعل أن اعتبر قيصر روسيا وقيصرة روسيا أن ذلك الفلاح الروسى جريجورى إفيمى راسبوتين إنما هو قديس مملوء بالروح القدس وبالبركة الإلهية التى منحها الله له ولم يمنح شيئا منها لرئيس الكنيسة الأورثوذكسية الروسية نفسه ، ولا لأى من القساوسة المحترفين للقسوسة كرجال دين محترفين ، ولم يكن الفلاح الروسى جريجورى إفيمى راسبوتين

الذى كان أبوه لصا سكيرا وفلاحا أجيرا ، ومارس هو نفسه فى مطلع شبابه السرقة وحوكم جريجورى راسبوتين فى مطلع شبابه بسبب ارتكابه جريمة السرقة ، وبدلا من إدخاله السجن أدخلوه كنيسة لكى يقوم بأعمال الخدمة فيها، ومن هنا بدأت علاقة ذلك الشاب الفلاح الروسى جريجورى راسبوتين بالديانة المسيحية .

ولاريب أن الفلاح الروسى الشاب الذى التحق بالعمل فى إحدى الكنائس المسيحية فى إحدى القرى فى الريف الروسى قد أتيح له قَدْر ما من المعارف الطبية التى تعتمد فى المقام الأول على طب الأعشاب ، وأتيح له قَدْر من المعارف المتعلقة بالمعتقدات الدينية المسيحية الرائجة الذائعة الشيوع بين البسطاء من الناس يتقبلونها بطريقة دجماطيقية بكل حماس ودون جدال ، كما أتيح له أن يحذق كيفية إقناع الناس البسطاء بأنه رجل مبارك من رجال الله مملوء بالبركة والروح القدس .

ولاريب أن الفلاح الروسى الشاب جريجورى أفيمى راسبوتين الذى كان قد التحق بالعمل لخدمة إحدى الكنائس ، قد تنقل بين كثير من القرى وقد اتخذ سمت رجال الدين المسيحى ، يرتدى ثوبا روسيا أسود اللون مما يرتديه القساوسة، ويتدلى على صدره صليب كبير معلق بطرف سلسلة طويلة ، وهو ملتح لحية سوداء اللون طويلة الشعر وإن كان لايضع على رأسه أى غطاء للرأس يغطى شعره الأسود الطويل المفروق من الوسط بعد تمشيطه على الجانبين ليمتد فوق رأسه بدءا من جبهته خط سميك خال تماما من أى شعر ، وحاجباه كثيفا الشعر فوق عينين ثاقبتين يشع منهما ضوء ذكاء حاد نفاذ يتسلل مباشرة إلى داخل أى شخص يواجهه راسبوتين فيحدث تأثيرا مثيرا أخاذا ، وأنفه مستقيم ، وشاربه فوق فمه المزموم الشفتين يمتد فوق شفته العليا محتلا مساحة لا بأس بها ، ويتصل بشعر لحيته على جانبى الوجه .

ولاريب أن الفلاح الشاب الذى أنهى مدة عقوبته بالعمل فى الكنيسة ، لم يكن يضع على رأسه عمامة القساوسة الشهيرة ، لأنه ليس من حقه أن يرتديها

لأنه ليس قسيسا معترفا به كقسيس معترف به من رجال وإدارة الإكليروس المسيحى الروسى . ومعنى ذلك أن راسبوتين كان له كل سمت ومظهر وملابس رجال الدين فيما عدا غطاء الرأس ، استعاض عنه بشعره الأسود الجميل الطويل المرجل المفروق من المنتصف مما كان يعطيه سمتا وقورا جميلا جذابا لرجل وسيم واضح الرجولة عظيم الفحولة ، يفوق مظهره الخارجى مظهر كل رجال الدين المعاصرين له هيبة وجلالا وتأثيرا فى نفوس الناس الذين كان يقابلهم كطراز جديد فريد جميل خلاب من رجال الدين . رجل ليس من رجال الدين ولكنه يفوق كل رجال الدين هيبة وجلال مظهر وقوة تأثير . وهو بمسلكه العملى وبكل قدراته التى تعلمها فى الكنيسة من ممارسات رجال الدين الذين عمل فى خدمتهم من قبل يستطيع التأثير فى عامة الناس ، ويستطيع أن يوهمهم بأنه رجل مبارك من رجال الدين مملوء بالبركة ومملوء بالروح القدس ، ويساعده فى ذلك مظهره الخلاب وتناسق تكوينه البدنى وطوله الفارع وملامحه الزاخرة بوفرة الجمال بدءا من شعره ومرورا بعينيه ولون بشرته وكثاثة شعر لحيته والذى لم تتسلل إليه بعد شعرة بيضاء واحدة . وإذا كان شعر اللحية الأبيض يضفى على صاحبها وقار الشيوخ فإن شعر اللحية الأسود يضفى على صاحبها مظهر قوة الرجولة ووفرة الفحولة مع طول فارع كان يزيده مهابة وجلالا .

وهكذا كان راسبوتين يجمع فى مظهره كل مقومات الجمال ومهابة المنظر . كان راسبوتين طويل القامة ، وطوله القامة عماد الجمال ومهابة المظهر بالنسبة للرجال ، وكان أبيض البشرة ، وبياض البشرة هو برنس الجمال بين الرجال فيما يقال .

ولكن عَيْنَىْ راسبوتين كانتا هما أهم ما يلفت النظر فى كل هيئة راسبوتين الشامخة الخلابة المظهر .

يصف سفير فرنسا هاتين العينين إثر مقابلته لراسبوتين عندما ذاعت شهرة راسبوتين فيقول : «كان لون عينيه أزرق باهت الزرقة ، وفيهما بريق خاص غير مألوف لدى أى شخص آخر ، وفيهما عمق ، ولهما جاذبية لاتقاوم .

وكان لنظرات عينيه عدة معان فى وقت واحد يحمل من يتأمل نظراته على أن يتساءل أى معنى هو المعنى الصحيح لنظرات راسبوتين التى تتسلل إلى أعماق النفوس وفيهما كل الالتواء والقدرة على النفاذ إلى الأعماق مع إيحاء بالسذاجة والبراءة التى تتحدى كل ما يشاع عن فساد أخلاقياته وسوء طويته »

ويقول الأمير يوسوبوف ، قاتل راسبوتين وقد أتيحت له مقابلة راسبوتين أكثر من مرة ، يقول فى وصفه لعينى راسبوتين : «عيناه تشعان بريقا فوسفوريا براقا » وقالت عنهما إحدى السيدات : «لقد ارتعت عندما اكتشفت بعد مقابلته أنه رجل مخادع شرير فاسد فاسق ملتف بالغموض على الرغم من أن نظراته فى أول المقابلة معه كان يبدو فيهما الطيبة والنبل ، ثم اكتشفت فى النهاية أنه خبيث داهية شرير فاسد فاسق » ومنه يتضح أن نظرات عينى راسبوتين كانتا معلما رئيسيا من معالم ملامحه ، وكان لهما تأثير قوى فعال فى نفوس كل الناس الذين كان راسبوتين يقابلهم ويؤثر فيهم تأثيرا قويا .

ولكن ما هو المحتوى الحقيقى لمكونات راسبوتين ، وما هى المقومات الحقيقية لشخصيته ؟ هل هو رجل دين ؟ لا ، إنه ليس قسيسا من القساوسة الروس ، ولم يحظ على الإطلاق بأى إعداد مدروس مما تعد به الكنيسة أى شخص لكى يتم «ترسيمه» قسيسا بطريقة رسمية . هل هو طبيب ؟ لا ، لم يتخرج راسبوتين من مدرسة أو معهد طبى على الرغم من تصديه بنجاح فى بعض الأحيان لعلاج بعض المرضى وتحقق الشفاء لبعضهم . ربما كان قد تعلم بعض معارف العلاج بالأعشاب والوصفات الشعبية لعلاج بعض الأمراض ، فضلا عن مصادفات تأثير الإيحاء وقدرة الجسم أحيانا على التغلب على بعض الأمراض . ولكن نجاحه فى تحقيق الشفاء لبعض المرضى كان دون شك سببا من أسباب شهرته التى صاحبت تحركاته وانتقاله من مكان إلى مكان . هل كان راسبوتين رجل سياسة ملمًّا بمجريات التاريخ ومسار الأحداث فى تاريخ العالم ؟ لم يكن راسبوتين قد تلقى تعليما يؤبه أو يعتد به لتكون له دراية بسياسة الدولة فى الداخل أو الخارج . كان بالكاد قد تعلم مبادئ القراءة والكتابة ! وعلى الرغم من ذلك كان بعد شهرته يتدخل فى تقرير سياسة روسيا فى أخطر ما كان

يواجه روسيا آنذاك من جراء تأثيره على قيصرة روسيا وبالتالى تأثيره على قيصر روسيا باعتبار أنه رجل مبارك مملوء بالروح القدس ومن ثم تلزم استشارته والعمل بمشورته .

وهكذا اغتصب راسبوتين لنفسه سلطات دينية دون أن يكون قسيسا محترفا معترفا به فى سلك القساوسة الروس ، واغتصب لنفسه مكانة فى عالم الطب دون أن يكون طبيبا مؤهلا لعمل الطبيب ، واغتصب لنفسه مكانة رجل الدولة ومستشارها السياسى دون أن تكون لديه مقومات ومعارف وخبرات الرجل السياسى مما جعل سقوطه فى النهاية سقوطا مؤكدا ، وسقطت معه كل سلطات القيصر الروسى والقيصرة الروسية من أسرة آل رومانوف التى دان لها حكم روسيا طوال ثلاثة قرون حتى وقع آخر القياصرة الروس تحت تأثير راسبوتين ، وكان هذا التأثير هو المسمار الأخير فى نعش الحكم القيصرى فى روسيا ؛ إذ كان الشعب الروسى كله قد اقتنع بفساد نظام حكم القياصرة فى روسيا ، وكان دليل الشعب الروسى على فساد الحكم القيصرى فى روسيا هو فساد وفضائح راسبوتين التى لم تدع لأى فرد من الشعب الروسى مجالا لأى شك فى فساد الحكم القيصرى فى روسيا ، مما جعل الشعب الروسى مهيأ تماما لمساندة الثورة البلشفية فى عام ١٩١٧ بعد عام واحد من اغتيال راسبوتين .

كيف حدث كل هذا ؟